الخطر الأكبر على العالم العربى

وكيف يستعيد العرب مكانتهم

بقلم

أبو الحسن الندوى

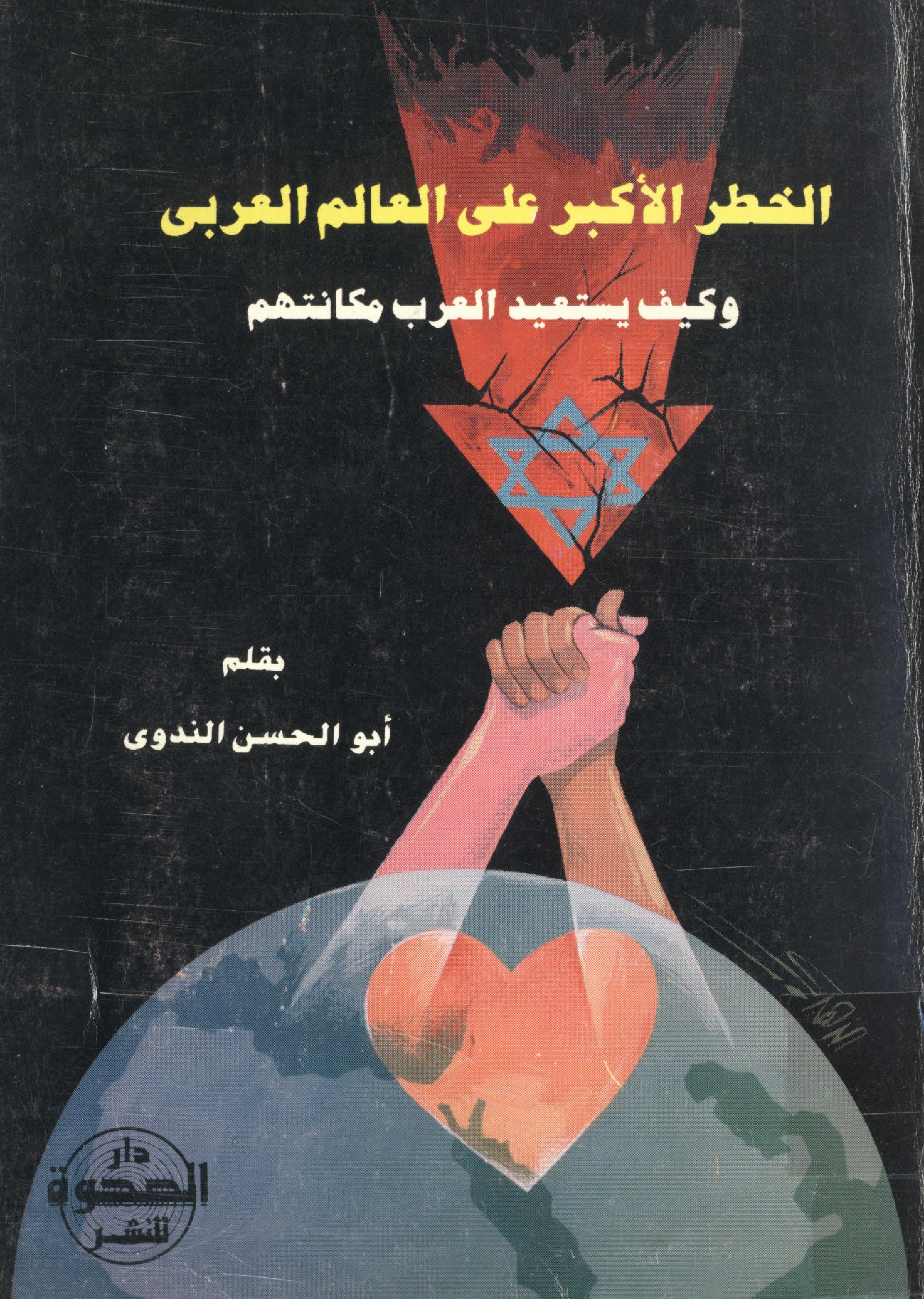

دار الصحوة للنشر

الخطر الأكبر على العالم العربي

وكيف يستعيد العرب مكانتهم

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة : ٧ ش السراى - أول المنيل ت . وفاكس : ٠٨١٩٢٤

الفرع : حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٠٠١١ : ٣١

الخطر الأكبر على العالم العربى

وكيف يستعيد العرب مكانتهم

بقلم
أبو الحسن الندوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم : د / عبد الحليم عويس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد :

فعندما انفرط عقد المسلمين وأصبحوا شراذم متفرقة ودولا متنابذة وعقائد متفرقة، بعد أن كانوا أمة واحدة على قلب واحد وعقل واحد يتجهون قولا وعملا إلى قبلة واحدة، وينطلقون عقيدة وشريعة من مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسوله، ويهدفون إلى غاية واحدة هي تعمير الأرض باسم الله وتحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . . .

عندما انفرط عقد المسلمين، وتقطعت بهم الأنساب الصحيحة الى الدين الصحيح فأصبحوا في الأرض كاللقطاء يبحثون عن أنساب غير شريفة، فبعضهم يتجه إلى الوطنية يدعو قومه إلى الانتساب إليها، وبعضهم يتجه إلى القومية- عربية أو طورانية تركية أو فارسية أو بربرية- يدعو قومه إلى الانتساب إليها، وبعضهم بحث في أعماق تاريخ قومه عن حضارات وثنية مندثرة كالآشورية والطورانية والفرعونية فدعا إلى الانتساب إليها . . . وبعضهم جاء صريحا واضحا دون لف أو دوران فدعا إلى الانتساب إلى الحضارة المتفوقة ماديا الغالبة عصريا وهي حضارة أوروبا، على أساس أن الناس

عبيد لمن غلب، فلاضير - وأوروبا هى الغالبة - أن نكون عبيداً لها، فربما تعترف بآدميتنا يوما، وربما تسمح لنا بالحياة، حتى ولو كانت هذه الحياة ذليلة كئيبة!!

وقد وجد كل داع إلى خلع الانتساب الشريف للاسلام، والانتساب إلى أرحام أخرى - تبريرات عقلية ومنطقية ومنهجية وعلمية وتاريخية للدفاع عن رأيه - وبيان أن رأيه هو الأصلح والأولى من الانتساب لهذا الإسلام الذى سيفرض علينا انتسابنا اليه مغارم كثيرة نحن فى غنى عنها، ولاسيما ونحن حريصون على أن نعيش حياتنا مترعة بالسعادة والرفاهية على أحدث وسائل الرفاهية والحداثة المعاصرة!!

وكانت أوروبا بفكرها الزاحف تغذى هذا كله وتدعم هؤلاء جميعا لأنها تعرف تماما أن أى إبعاد عن الإسلام هو تمزيق للأمة وتشتيت لجهودها وتبديد لطاقاتها فى غير طائل، وهى تعرف أن الفرعونية والآشورية والعروبية والفارسية والبربرية والـ ..لمنية وكل هذه النزعات لن تفيد أصحابها، بل ستحولهم إلى أمم متطاحنة متشرذمة بينما تتجه هى إلى التوحد الاقتصادى والحضارى والفكرى، وتدعم -مجتمعةً- الكنيسة العالمية بعد أن تغافلت -عامدة- حتى عن الخلافات العقدية التى تفصل

بين البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس... وبينما يجرى هذا فى معسكرها... يجرى الأمر -بتأثيرها- على العكس فى معسكرنا الإسلامى، وتبذل كل الجهود من أجل طرح (الإسلام دين الوحدة والتوحيد) وتبديد الجهود وبعثرة الطاقات تحت رايات متنابذة تافهة لاتغنى فتيلا وليس لها فى نهاية الأمر أى مردود أو تأثير اللهم إلا تكريس الخلافات وتعميق الصراعات وتحقيق الفراغين العقدى والفكرى تمهيداً لملئه بالأفكار التنصيرية والتغريبية واللادينية..

* * *

وجاء حزب البعث ليكون بديلا من هذه البدائل المطروحة لصرف الأمة عن الإسلام دين الوحدة والتوحيد.. وقد تزعم هذا الحزب النصارى العرب واللادينيون العرب وعلى رأسهم ميشيل عفلق الذى تثبت الوثائق عميق صلته بالتنصير العالمى واليهودية العالمية.

وفى كتابه (نضال البعث) قدم ميشيل مشروع دستور تنص المادة الثالثة منه على أن حزب البعث العربى الاشتراكى (**قومى**) يؤمن بأن (**القومية العربية**) حقيقة حية خالدة..

وتنص المادة الرابعة منه على أن حزب البعث العربى الاشتراكى (**اشتراكى**) يؤمن بأن الاشتراكية

ضرورة نابعة من صميم (**القومية العربية**).

وتنص المادة الخامسة على أن حزب البعث العربى الاشتراكى (**شعبى**) يؤمن بأن السيادة للشعب، وأنه وحده مصدر كل سلطة وقيادة.

وتنص المادة السادسة على أن حزب البعث (**انقلابى**) يؤمن بأن أهدافه الرئيسية لايمكن أن تتم الا عن طريق الانقلاب.

وتنص المادة (١٥) على أن الرابطة القومية هى (**الرابطة الوحيدة**) القائمة فى الدول العربية (...) وتكافح سائر العصبيات **المذهبية** والطائفية والقبلية.

وتنص الفقرة الرابعة (البند الرابع) من المادة (٤١) من الدستور البعثى العفلقى على ضرورة فسح المجال (**فى حدود الفكرة القومية العربية**) لتأسيس النوادي والجمعيات والأحزاب ومنظمات الشباب.

- وهكذا أصّل (**ميشيل**) أستاذ البعثيين إبعاد الإسلام (**دستوريا**) وصفق له مسلمون ونصارى ممن رضوا الدخول فى نحلة البعث العفلقى اللادينى الاشتراكى القومى!!

- وفى كتابه (فى سبيل البعث) قام ميشيل عفلق بتوضيح بعض المبادىء الأساسية التى يقوم عليها

البناء الفكرى للحزب.

فبالنسبة للدين: يقول ميشيل عفلق: (باستطاعة المرء أن يربح من غير خسارة أن يصعد إلى السماء وقدماه لاصقتان بالأرض، إذا صح ذلك، فلأن هذه السماء التى يقصدونها صغيرة إلى حد أن المرء يتناولها وهو قاعد... كذبة رائفة نربحها بخدع القمار).

وهو رأى فيه من السخرية بالدين الكثير!!.. كما نرى!!

ويقول ميشيل رافضا أن يكون الدين بديلا صالحا للقومية.. (أنجعل قوميتنا وهى أساس حياتنا نظرية من النظريات فنتركها عرضة لتقلبات المنطق والذوق والهوى، فننادى بها اليوم، ونؤثر عليها الأممية والشيوعية غدا، ونعتنق الدعوة الدينية بعد غد.!!)

وبالنسبة لعلاقة العروبة بالإسلام يرفض ميشيل (ارتباط العروبة بالإسلام) ويقول: (إن القومية تتعارض مع الطابع العالمى للإسلام، وقد تطور هذا الاتجاه الدينى تطوراً متزايداً. نحو مواقف أكثر سلبية من العروبة وباتجاه الفصل بينهما).

* * *

وفى تصورنا أن ميشيل عفلق (الصليبى) ليس

ملوماً . وإنما الملوم- دنيا وآخرة- هم هؤلاء الذين جعلوه أستاذهم ومفكرهم الروحى والعقلى وصانع وجدانهم . . .

وللأسف الشديد فقد أوقع حزب البعث الأمة العربية فى عدد من الكوارث والنكبات بفضل انسلاخه عن الإسلام . . ومن كوارثه أنه أدخل الأمة العربية فى عدد من الحروب المدمرة المهلكة التى كلفت العرب والمسلمين مئات المليارات التى كانت فى حاجة ماسة إليها . كما كبدها عددا من ملايين القتلى والموتى . وعمق الأحقاد والخلافات سواء بين العرب بعضهم بعضـا أم بين العرب والمسلمين فى إيران .

* * *

وقبل غزو العراق بقيادة الرئيس البعثى صدام حسين بيومين فقط تقدم النظام العراقى بمشروع الدستور الذى ووفق عليه . . . ويعكس هذا الدستور الطابع العفلقى البعثى القومى الاشتراكى ولمزيد من التوضيح نذكر أن المادة العاشرة من الدستور تنص على أن الاشتراكية أساس من أسس النظام السياسى العراقى .

وقد تحاشى الدستور كلمة الإسلام فى المواطن التى توجب ذكرها كما تحاشى كلمة الله . . فالمادة الثالثة والعشرون تتحدث عن الأسرة والقيم والمفاهيم

السامية والقيم الأصيلة والعريقة .

والمادة الخامسة والعشرون تتحدث عن الاستشهاد فى سبيل الوطن والأمة ومبادىء الشعب لتعزيز مضامينه الوطنية والقومية والاجتماعية والأخلاقية .

* * *

ومن العجب أن يصدق بعض الناس أيام فتنة الخليج أن يكون صدام حسين وحزب البعث العراقى الاشتراكى داعية للإسلام مقاوما للصليبية ، مع أن حزب البعث حزب أنشأته الصليبية بقيادة ميشيل عفلق الذى قيل له فى الفاتيكان فى مقام تكريمه : «**لقد حققت ما لم تحققه الجيوش الصليبية**» .

- ومن العجيب أيضا ألا يدرك المسلمون حقيقة فتنة أزمة الخليج وهجوم العراق غدرا على الكويت ، وما نجم عن ذلك من تمزيق للصفين العربى والإسلامى مما يصح أن نطلق عليه بحق الفتنة الكبرى . . . تلك الفتنة التى خطط لها أعداء الإسلام بذكاء شديد وتعاون معهم فيها حزب البعث وصدام حسين حتى جروا الأمة -مرغمة- إلى امتحان عسير . وكما أوضح سماحة أستاذنا الشيخ أبو الحسن الندوى -أطال الله عمره- فإن حزب البعث بمبادئه الهدامة وصدام حسين الذى قضى على شعب العراق وبدد طاقة الأمة العربية من أكبر الأخطار التى يجب أن يعي

المسلمون حقيقتها، وأن يواجهوها بكل الطرق والوسائل.. وأن لاينخدعوا بأكاذيبها ودعاياتها.. فالثوابت هى الأصل.. وهى المصباح الذى نبصر به. وهى الميزان الذى نزن به أعمال الناس وأقوالهم.

د / عبد الحليم عويس

تقديم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فكل حركة للقومية قامت فى العالم الإسلامى واتخذت فلسفة لنظامها، وتطورت إلى عقيدة بالتزييف والإكراه، كانت تحديا للإسلام، وحاولت أن تسيطر على تلك المساحة للحياة الانسانية التى كانت خاضعة لحكم الإسلام وسيادته، واشتملت هذه الحركة على خليط من العقائد، والأخلاق، والعواطف، ومشاعر الحب والكراهية، والولاء، وعدم الولاء، ورباطة الجأش، والحماس، وبعض من العناصر والأجزاء التى تشتمل عليها الأديان السماوية وتعتبرها جزءا منها، ولأجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التى لها هذا الشأن والاحتواء، والمضمونات، والتأثير، موضع حذر، بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوى الأخير، والدعاة إليه عن بصيرة وإيمان، فبادروا إلى محاربتها، باعتبارها منافسة لهم، لأن نشوءها وانتشارها يحملان فى أعقابهما أخطارا وبيلة تعمل على تفكيك الوحدة الإسلامية، ونشر الإلحاد والضلال، ومن ثم كانت مقاومتها وكبح جماحها، الواجب الأول فى نظر هذا الصف المؤمن.

وتستوى فى هذا الأمر حركات القومية والوطنية التى نشأت فى تركيا، وإيران، وكردستان،

وأفغانستان، وتصدى الغيارى على الدين، والراسخون فى العلم، وأصحاب العقيدة السليمة فى هذه البلاد كلها، لمواجهة تلك الحركات، وكان شعارهم تحطيم هذه الأصنام العنصرية والثقافة جميعا وإعلان **"إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"** (١).

لكن القومية العربية تختلف فى طبيعتها عن جميع هذه الحركات، لأن الأتراك والايرانيين والأكراد والأفغان، كانوا جزءا من الملة الإسلامية، فكان انحرافهم انحراف ملة، أما العرب فلم يكونوا ملة فحسب، وإنما كانوا منبع الدعوة الإسلامية، وحملة لوائها الأولين وروادها السابقين، وكان بلدهم المنبع الأول للإسلام، ومأواه وملجاه الأخير، فكان قبولهم لدعوة القومية وانحصارهم فى القالب المحدود للقومية والعروبة، أو احتضانهم لدعوة البعث العربى القومية، بدلا من كونهم حملة الدعوة الإسلامية العالمية، حادثة تاريخية، فإذا كان انحراف الأمم الأخرى، انحرافا لها وحدها، كان انحراف العرب تحريفا، لذلك فإن القلق والهم اللذين يساوران النفوس والحذر الذى يطير النوم عن عيون المحبين للدين والعاملين له والمهتمين به، لا يستغرب ولا يثير الدهشة والتساؤل، بل بالعكس عدم الاضطراب على هذا الحادث الأليم، يدل على عدم الشعور بضخامته ووخامة نتائجه،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٣.

الأمر الذى أقض مضاجع المعنيين بالدين، ومستقبله.

وصدق الشاعر الأندلسى العربى :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان فى القلب إسلام و إيمان

لماذا لم تشعر الدوائر الدينية بأهمية هذه الحادثة، ولماذا لم يضطرب لها أصحابها، وهم يحملون حقا حساسية مرهفة فى كل أمر له صلة بالدين والعقيدة فلا يحتملون أدنى انحراف أو عدول، فضلا عن ضلال فى أمر الدين، فكيف استساغوا هذا الضلال المبين، وأغمضوا بصرهم، بل وعلى العكس تجاوز بعضهم إلى الإعراب عن تقديرهم لزعماء هذه الانحرافات الضالة، ونوهوا بأعمالهم ونسبوا إليهم البطولة ؟!!

إن هناك سببين لهذا الموقف :

أولهما : عدم معرفة هؤلاء الناس، لحقيقة الأفكار والعواطف لدعاة القومية العربية وعجزهم عن إدراكها، لأن عدداً قليلا من العلماء وحملة الدين هو الذى يتمكن من دراسة منشورات القومية العربية الموثوق بها، وتتاح لهم فرصة السماع والقراءة للأحاديث والبيانات والتقارير الصحفية لقادة تلك الحركة وزعمائها. أما الفئة التى تكتفى بالتصفح للجرائد والمجلات الصادرة من الدول التى تعبر عن

هذه الأفكار والاتجاهات، فتقتصر معرفة هذه الفئة من الناس على معلومات سطحية طافحة، وتعتمد على بيانات سياسية في أغلب الأحوال. فإذا كان رجال هذه الفئة من الناس قاصرين في اتخاذ آراء سديدة أو مواقف إيجابية، فلا يقلقون، ولا يتذمرون ولا يشمئزون وإن كانت قلوبهم مفعمة بالغيرة الإسلامية والحمية الدينية فلا غرابة في ذلك، فإنهم لا يدركون مدى خطورة الدعوة للقومية العربية وتوغلها في النفوس، وتأثيرها وأبعادها، وأهدافها وغاياتها، وإلى أي مدى سرت فيها عدوى الإلحاد واللادينية ونفاقمت، وما هي انعكاسات هذه الدعوة على قلوب الشباب والمثقفين الذين تأثروا بها في الشرق الأوسط وفتنوا بقادتها وزعمائها، وتأثروا بأهدافهم التي يعبرون عنها ويجهرون بها "وما تخفي صدورهم أكبر".

والسبب الثاني: أن النظر إلى أي دولة من الدول الغربية أو الأوربية بنظرة ازدراء، والحديث بلهجة التحدي لها وتهديدها وإدانتها، أو إبداء نية المجابهة مع إسرائيل، والإعلان ببدء حركة لتحرير فلسطين، وإن كان باللسان فحسب، أو إظهار الصمود والتصدي في البيانات، يعد بطولة وجرأة يغتفر بها جميع السيئات ويتغاضى عن كل عمل سابق لهم، وذلك لماضي هذه الدول الأوربية المظلم وحاضرها الظلوم في مواقفها من دول العالم الإسلامي، وغياب أي إجراء جدي، من قبل أي بلد إسلامي وعربي إزاء إسرائيل خلال السنوات العديدة

الماضية، فتحمل هذه البيانات على صرف النظر عن كل عيب وزيغ للزعماء العرب القوميين، وأعضاء حزب البعث العربى الاشتراكى الملحد، وأى زعيم آخر من الزعماء العرب، وحتى على الإغماض عن استغنائهم عن الإسلام، ومحاولة قطع صلة الأمة العربية والدول العربية عن الإسلام وإعادتها إلى الجاهلية الأولى، بتخطيط دقيق، وعدم المبالاة بالعقائد الإسلامية والفرائض الدينية، وأكثر من ذلك الاستهانة بها، وازدراؤها، وبمثل هذه البطولات الوهمية، المدججة بالإعلام الكاذب، ينصرف المجدوعون من البسطاء عن عيوب هؤلاء الزعماء المنتفشين زوراً، ليس ذلك فحسب بل تحملهم هذه البيانات على تقديس هؤلاء الزعماء ووضعهم فى مصاف الأبطال والمنقذين للمسلمين والعرب، ثم لا يقع فى هذه المغالطة الأثيمة عامة الناس وحدهم بل يقع فيها الخاصة من الزعماء والقادة، ويستعد بعضهم للتصفيق لنفسه، ومن خلفه قادة الوهم، ورافعو شارات التأييد والإشادة، ويتعرضون بالسوء واللائمة لمن له معرفة بحقيقة الأمور ويدرك حقيقة هؤلاء الزعماء القوميين البعثيين وماضيهم وحاضرهم، وما يضمرونه من نيات سيئة وما يكيدون للأمة العربية بخبث ومدى ارتباطهم بالمؤامرات الصليبية وما يحلمونه من قطع صلة المسلمين والعرب عن الإسلام، وربطهم بالجاهلية القديمة، والقومية العربية.

إن الناقدين لمثل هذه الحركات وأصحابها

ينتمون إلى الفئة التى كان شعارها الدائم، أن النقص الدينى والتحريف فى الدين، هما الخطر الأكبر على أمتنا، فما معنى الانتصارات المادية إذا جاءت من هذا السبيل، فاذا تحقق انتصار عظيم، أو سعة فى الحكم بمرزأة فى الدين، أو إلحاق ضرر به أو انتقاص منه، كان هذا الانتصار المادى فى نظر هذه الفئة هزيمة بل أشنع من هزيمة.

إن تاريخ فقهاء الأمة وقادة الدين من أصحاب العزيمة، حافل بأمثلة هذه النظرة الدينية، وإلى هذه النظرة الدينية أو التقييم الدينى يرجع فضل صيانة هذا الدين من التحريف، وإلا كان مصيره كمصير المسيحية من المسخ والتحريف، وقد أمكن الاحتفاظ بهذا الدين صحيحاً وبالأمة الإسلامية حية، بفضل الجهود المخلصة لعلماء الحق، الذين عملوا كما أمرهم القرآن الكريم «**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط**» (١).

لقد أتيحت للكاتب بفضل الله تعالى وتيسيره فرصة التعايش مع العرب - وهم معدن الإسلام ورصيده، وحملة الدعوة الإسلامية الأولون إلى العالم، ويجب أن يكونوا متحمسين للإسلام أكثر من غيرهم ويكونوا قدوة للعالم - وسنحت له الزيارات المتكررة إلى الدول العربية والاطلاع على نشاطاتها العلمية والسياسية ومراكزها الثقافية والدينية،

(١) سورة المائدة الآية (٨)

والعضوية فى بعضها، والتعرف على رجال من مختلف الطبقات، والقرب من مناهجهم العملية واتجاهاتهم الفكرية، وتبادل وجهات النظر معهم والتباحث فى شتى الأمور، وسنحت له بذلك فرصة المطالعة المباشرة للخطط والمؤامرات والمواد العلمية الرامية إلى قطع الصلة بالإسلام، وظل هذا الموضوع شغلا شاغلا له وهماً يلفت نظره ويسترعى اهتمامه بصفة خاصة مدة طويلة.

إن ما يشاهد اليوم من حماس وثورة يعتملان فى نفوس المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ولا سيما الشباب منهم والانفعال الشديد لديهم، والافتتان بقيادة الزعيم البعثى الاشتراكى صدام حسين الطائشة وتحدياته وتهديداته، والتظاهر بالجراءة والصمود، لا يرجع إلى دراسة أو تفكير، أو مطالعة، وإنما هو بمثابة "زوبعة فى فنجان" أو غلى كغلى المرجل، فشعرت بمسئوليتى بحكم معرفتى ودراستى وواجبى الدينى - نظراً لهذا الهياج الذى يسود اليوم- أن أقدم ملخصا لبعض المقالات والبحوث، والمطالعة التاريخية التى تشتمل على استعراض البواعث والدواعى لهذه الحركات، وخلفياتها، وما يخشى من نتائجها (إذا تحققت لا

قدر الله) إنها دراسة مخلصة أمينة ورجائى أنها ستنال الاهتمام والتقدير اللائقين، وأن يعتبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وما توفيقى إلا بالله

أبو الحسن على الحسنى الندوى
١٥ / رجب ١٤١١هـ
١ / فبراير ١٩٩١م

القسم الأول

الخطر الأكبر على العالم العربى

حكمة الله فى اختيار العرب لحمل الرسالة

اختار الله العرب للدعوة الإسلامية والقيادة الأولى لها، من بين الأمم الأخرى فى العالم بحكمته وإرادته.. ومن قبل قال عن نبيّى إسرائيل **"ولقد اخترناهم على علم على العالمين"** (١).

وقال عن النبى العربى صلى الله عليه سلم: **"الله أعلم حيث يجعل رسالته"** (٢).

وقد امتاز العرب بخصائص تفردوا بها بين الأمم، وتجلت حكمة الله فى اختيارهم للدعوة إلى الإسلام (٣).

وأثبت العرب الأولون حكمة هذا الاختيار بفهمهم العميق لطبيعة الإسلام، وإساغتهم الكاملة لتعاليمه، وتجردهم النادر من كل ما ينافيها، وحماستهم -المنقطعة النظير- فى نشر الإسلام، وتفانيهم الغريب فى إعلاء كلمته، ورفع شأنه، وأمانتهم الدقيقة فى حفظ روحه ونفسيته، ونجاحهم المدهش فى تسخير القلوب والعقول لقبول عقيدته وثقافته.

(١) سورة الدخان الآية ٣٢.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣.
(٣) راجع (السيرة النبوية) للمؤلف (لماذا بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى جزيرة العرب؟) ص ٤٢-٥٥. الطبعة الثامنة. طبع دار الشروق جدة.

عقد الله بين العرب والإسلام للأبد ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، فلا عز للعرب إلا بالإسلام ولا يظهر الإسلام فى مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله ، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين العرب والإسلام، فجعل جزيرة العرب مركز الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة ، وحرص على سلامة هذا المركز ، وهدوئه وشدة تمسكه بالإسلام، لأن العاصمة يجب أن تكون بعيدة عن كل تشويش ، وعن كل فوضى ، وعن كل صراع، فشرع لذلك أحكاما بعيدة النتائج واسعة المدى ، وأوصى لذلك وصايا حكيمة دقيقة ، وأخذ لذلك من أصحابه وأمته عهوداً ومواثيق ، وذكرت ذلك عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقالت: كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: (لا يترك بجزيرة العرب دينان)(١).

(١) رواه أحمد فى (المسند) والطبرانى فى (الأوسط) وجاء فى الموطأ للإمام مالك (ألا لايبقين دينان بأرض العرب).

المسيحيون المثقفون قادة حركة القومية العربية

تزعم حركة القومية العربية وقادها بعض المثقفين المسيحيين، الذين لم تكن تربطهم بالأتراك [١] رابطة العقيدة والدين المبين، ورابطة الإخاء الإسلامى، وكانوا مثقفين بالثقافة الغربية التى تقوم على تمجيد القومية، وكان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر، إبراهيم اليازجى، والأستاذ نجيب العاذورى اللبنانى.

يقول على حسن الخربوطلى:

كان أول من بشر برسالة القومية بين العرب هم أبناء الرعايا المسيحيين، حيث وجدوا فى القومية أداة صالحة ليس للتخلص من السيادة العثمانية بل الخروج كذلك من حدود الدائرة الإسلامية إلى وسط أرحب حيث يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذيبوا أنفسهم فى ولاء شـــامل [٢].

---

(١) الذين كانوا يحكمون الجزيرة العربية، والشام، وفلسطين، ولبنان والأردن والعراق، والأقطار العربية التى كانت - ولاتزال - توجد بها جالية كبيرة من المسيحيين.

(٢) القومية العربية من الفجر إلى الظهر، حسن الخربوطلى.

ويقول الدكتور يوسف خليل:

ومما يميز الحركة القومية العربية، الدور البارز الذى قام به المسيحيون فى تدعيمها وتقويتها واختفاء النزعة الدينية تماما من المفهوم العربى [1].

شيوع التصور الغربى للقومية:

وجاء دور المفهوم العربى للقومية العربية التى هى فكرة مستقلة وفلسفة بذاتها ولها كل ما للدين من حمية وحرارة وشعائر ومقدسات.

يقول الكاتب اللبنانى المسلم على ناصر الدين فى كتابه (قضية العرب).

«القضية العربية لن تكون أبدا عند العربى المؤمن الحر العاقل، الشريف، الصالح، الخير الأبى المترفع، إلا قضية إيمان، إيمان بالوطن للوطن، كقضية الإيمان بالله ليس غير».

ويتكلم عن مهمة قضية العرب وأهدافها فيقول:

«وتحارب (القومية العربية) الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية إلا العصبية القومية،

---

(١) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب (قضية العرب) للأستاذ على ناصر الدين- بيروت ١٩٦٣م ص ١٩.

وتفصل الدين عن السياسة، وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها وتعلم العربى أينما كان أن يتعصب بعنف لأمرين: قوميته، والحق والصدق».

ويشرح هذا الكاتب (العروبة) فى بيان واضح ولفظ صريح فيقول:

«العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية فى هذه الحياة الدنيا وإنها مع دعوتها - العروبة - تحمل أسمى ما فى الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات، وفضائل وحسنات» (١).

وهكذا قال عمر الفاخورى قديما فى كتاب له سماه، (كيف ينهض العرب؟).

«لاينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربى ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبى الكريم، والمسيحيون والكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم، والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية، وثوريو فرنسا فى عهد الرعب على مبادىء روسو الديموقراطية، ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك» (٢).

---

(١) مجلة العربى أيضا: ص ٢٥.

(٢) نقلا عن كتاب (الأمة العربية فى معركة تحقيق الذات) للأستاذ محمد المبارك، هامش ص ٤٠٧.

القومية العربية مؤامرة دقيقة للمسيحيين فى الشرق الأوسط :

وقد أصبح العرب المسلمون فى ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة فى الشرق العربى التى يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية، وحلولها محل الدين الإسلامى، والتى تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة والقيادة والتوجيه فى العالم العربى، وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامى الذى لاترتبط به هذه الأقلية عقيدة وعاطفة وتاريخا، ولايزال ميشيل عفلق [1] (المسيحى ولادة) مؤسس حزب البعث العربى ورئيسه، فيلسوفها الأكبر فى الشرق العربى.

وضع المفكرون من غير المسلمين فلسفة القومية العربية بمكر ودهاء، واستخدموا فى إعدادها لباقتهم الفائقة، فمنحوها منهجا علميا، وجمعوا فى هذه الفلسفة ما يحمل تأثيرا خلابا على ذهن الشباب

---

(١) ميشيل عفلق كان مؤسسا لحزب البعث ورئيسه، وهو مسيحى سورى انتقل فى آخر عمره إلى العراق، وعاش مكرما مبجلا ومات فى عام ١٩٩٠م، وأشيع فى الناس (لمصلحة يعرفها حكام العراق) أنه أسلم، وقال عالم من علماء العرب (إنه أسلم بعد موته).

العربى المثقف (الذى تجيش فى قلبه عواطف استعلاء) وتتضح هذه اللباقة بهذه العبارة المقتبسة من كتاب (فى سبيل البعث) لميشيل عفلق [1] الذى يعتبر ميثاق هذه الحركة :

«إن تأجيل ظفر الإسلام طوال تلك السنين ، كان يقصد أن يصل العرب إلى الحقيقة بجهدهم الخاص ، وكنتيجة اختبارهم لأنفسهم وللعالم ، وبعد مشاق و آلام ، ويأس وأمل ، وفشل وظفر ، أى أن يخرج الإيمان وينبعث من أعماق نفوسهم ، فيكون الإيمان الحقيقى الممتزج مع التجربة ، المتصل بصميم الحياة ، فالإسلام إذن: كان حركة عربية ، وكان معناه تجديد العروبة وتكاملها» .

ويقول : «إذن فالمعنى الذى يفصح عنه الإسلام فى هذه الحقبة التاريخية الخطيرة ، وفى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التطور ، هو أن توجه كل الجهود إلى تقوية العرب وإنهاضهم ، وأن تحصر هذه الجهود فى نطاق القومية العربية» .

صلة صدام حسين بحركة القومية :

كان الرئيس صدام حسين ذا صلة وثيقة بحزب البعث العربى المذكور الذى يعرف بدعوته إلى

---

(١) ويتضح من مطالعة هذا الكتاب أن المفكرين للقومية العربية وزعماءها فى مصر ، كانوا من تلاميذ هذه المدرسة وأتباعها .

القومية العربية، من مقتبل عمره، ويرأس هذا الحزب نصراني سوري، وهو الأستاذ ميشيل عفلق الذي سبق ذكره، وقضى المذكور آخر عمره في العراق، وتوفي في عام ١٩٩٠ م . وتم تأسيس هذا الحزب في عام ١٩٤٣م ووصل ذروته في عام ١٩٤٧ .

وتدور فلسفة هذا الحزب الأساسي حول اعتبار العرب وحدة بذاتهم، وإن الفروق التي توجد بينهم على أساس الدين والعقيدة، والثقافة والسياسة، صناعية وعابرة، تزول وتتلاشى بصحوة العرب القومية، وغلبة هذا الشعور فيهم، وشعار هذه الحركة والحزب ودستورها (العرب أمة واحدة ذات رسالة خالدة).

وترمي هذه الحركة إلى إعادة العرب إلى عهد ما قبل الإسلام أي الجاهلية العربية، العهد الذي لم يكن لهم فيه دين جديد [١]، ولم يبعث فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته، وشريعته، وتمجد هذه الحركة أبطال الجاهلية والشخصيات المعروفة في الجاهلية التي يشتمل على ذكر بطولاتها وأيامها الشعر الجاهلي، وفاخر

(١) يقول العلامة محمد طاهر الفتني (م ٩٨٦ هـ) في كتابه المشهور (مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار): «الجاهلية هي الحالة التي عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله والشرائع، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر ونحوها» (الجزء الأول ص ٤٢٥).

بها الشعراء الجاهليون، وتدعو هذه الحركة إلى التفاخر بها، وإحياء ذكرها، والاستغناء عن الإسلام بمبادئ جديدة وفلسفة جديدة للحياة، تسير مع القومية العربية المطلقة، والمصالح السياسية والمادية، ولم يرد اسم الإسلام فى دستورها مطلقا.

ويعتقد المحققون والمبصرون أن هذه الحركة خطة مدبرة للحركة المسيحية الصليبية، وأنها مؤامرة عميقة الجذور لقطع صلة العرب عن الإسلام، ويمكن أن تلاحظ آثار هذه الحركة فى الشام - البلد الإسلامى الذى كان يتميز بالتاريخ الإسلامى المجيد - فى عهد حكم حافظ الأسد الحالى الذى يرتبط بحزب البعث العربى الاشتراكى، حيث دمرت المساجد واضطر الغيارى على الدين وأهل العلم، إلى مغادرة البلاد، وفرض الحظر على الحركات الإسلامية، والأحزاب الإسلامية [1]. وبدت آثارها فى الكويت بعد الغزو العراقى، ويخشى أن تحدث هذه التطورات فى كل بلد يخضع لحكم هذا الحزب.

يقول ميشيل عفلق فى كتابه المعروف (نضال البعث):

---

(١) وذلك بعد أن قام بذبح الحركات الإسلامية فى سوريا خلال عامى ١٩٨٠، ٨١ بعد سلسلة من المجازر البشرية الرهيبة وأشهرها مجزرة سجن (تدمر) فى ١٩٨٠/٦/١٧ ومجزرة حماة عام ١٩٨١م.

"الأمة العربية وحدة ثقافية، وجميع الفوارق بين أبنائها زائفة، تزول جميعها بيقظة الوجـــدان العـــربى" (١).

"الأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة، فى مراحل التاريخ، وترمى إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشرى وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم" (٢).

"فنحن إذن أمة، ولكن لاتبدو هذه الأمة، وكأنها خلقت بالإسلام، مما يقوى منطق الرجعية الدينية المتخلفة وبما يعنى أننا يجب أن نكون حزبا دينيا، ونحن لسنا كذلك، ولكن طريق تغيير الحياة وبنائها الجديد هو طريق حزب البعث العربى الاشتراكى، وهو الصبغة الجديدة للتعبير عن روح الأمة ورسالتها الإنسانية (٣).

لماذا نعارض القومية العربية، وما هى بواعث هذه المعارضة؟

إن المخاوف والشبهات التى ليست بدون أساس، والتى تبررها المقتطفات السابقة والنماذج المذكورة، هى التى تحمل على معارضة حركة القومية العربية، إن الذين يراقبون التطورات والنتائج

---

(١) نضال البعث ج١ / ١٧٢.

(٢) أيضا ج١. ١٧١.

(٣) فى سبيل البعث ص ٣٤٤.

المترتبة عليها وآثارها البعيدة ، والذين يعتبرون العرب رصيد الدعوة الإسلامية ، ورأس مالها ، والبلاد العربية معقلها وملاذها الأخير ، ويعرفون حقيقة المفهوم الغربي للقومية ، والذي يتعارض مع الدين ، بل هو بديل له ، أو ند له ، وتمهيد للادينية والإلحاد ، يقلقهم النظر إلى هذه الظروف السيئة ، ويضطربون ويتململون ، فلايهدأ لهم بال ، ولايقر لهم قرار .

إن الحركة القومية لأي بلد عربي أدهى وأمر من كل حركة أخرى للقومية . لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام الجاهلية القديمة ، وتمجيد الآباء والأمجاد في الجاهلية أو على الأقل تقلل من كراهيتها من قلوبهم ، وتمنع من الاستهانة بها .

والعهد الجاهلي هو الذي ذكره القرآن الكريم كالعهد المثالي للكفر ، وأثار في النفوس كراهيته وأبرز مساوئه بطرق متعددة .

ومن أسلوب القرآن الكريم أنه إذا أراد أن يبرز كراهية أي عمل وقبحه ، أو شناعة أي اتجاه فكري وخلقي ، ويصور وخامته ، ينسبه إلى الجاهلية الأولى ، فيقول :

"يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية "(١) . **"أفحكم الجاهلية يبغون " ؟** (٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٠

- **"ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى "** (١).
- **"إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية "** (٢).

ويخشى كذلك من هذه الدعوة أن تتضاءل كراهية صناديد الكفر الذين شاقوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصبوا العداء له ولدعوته، ويعتبرون أبطالا وعماليق العصر الذى سبق الإسلام، وهو الأمر الذى يخشى أن يؤدى إلى زوال الإيمان ونوع من الردة لا غير، وقد تحقق من دراسة السنة والحديث النبوى، أن من لوازم الإيمان وسمات الإسلام كراهة الكفر والامتعاض منه واقشعرار الجلد من تصور العودة إليه والتورط فيه كما جاء فى الحديث الآتى:

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لايحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار) (٣).

وقد شوهد فى السنوات الأخيرة فى القوميين العرب اتجاه إلى ذلك، فقال بعضهم: إن المؤرخين المسلمين قدموا صورة قاتمة للعهد الجاهلى أكثر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٥

(٣) جامع صحيح البخارى- كتاب الإيمان- باب حلاوة الإيمان.

مما كانت، وبدأ بعض الكتاب يدافعون عن العهد الجاهلى، ويحسنون صورته، وتجرى فى وزارة التعليم والتربية والدوائر العلمية فى بعض الدول العربية حركة استخدام تعبير (عهد ما قبل الإسلام)، أو العرب القدماء بدلا من العصر الجاهلى أو الجاهلية، وإذا سارت حركة القومية العربية مسارها الطبيعى، أو تقدمت ولم يظهر أى رد فعل لها أو لم يوضع حد لها، فلا يبعد ذلك اليوم الذى يبدأ الكتاب فيه الدفاع عن أبى جهل وأبى لهب، ويبررون مواقفهما، وينظرون إليهما كأبطال العرب وعظمائهم، بالنظر إلى بعض شمائلهما العربية.

وكان من تأثير حركات القومية المباشر وأثر القادة والأدباء والمؤلفين المسيحيين القوميين، تضاؤل الكراهية من الكفر وأهل الكفر، وزوال الاشمئزاز منه فى النفوس، وحلت محلها كراهية تلك الدول الإسلامية غير العربية والشعوب التى تعارض هذه القومية أو تقع فى كتلة أخرى، وقد تجلى هذا الانحياز فى أبشع مظهر، بموقف جمال عبدالناصر خلال قضية قبرص فأيد اليونانيين المسيحيين وساندهم عسكريا مقابل الأتراك المسلمين، كما أيد الدول الأفريقية التى قامت بسفك دماء المسلمين فى بلادها بوحشية وبربرية، وإبادتهم.

إن هذه الأسباب اللامعة والدلائل القاطعة التى لم

ات مخاوف أو أخطارا ، وإنما هي حقائق ووقائع ، تدعو أهل العلم والفكر إلى أن يحترزوا عن تأييد القومية العربية أو يحترسوا فيه ، أو أن لايقولوا كلمة خير في صالح أي قائد أو زعيم من قادتها ، بل يجب عليهم إذا لزم الأمر أن ينقدوها وينبهوا إليها ، ليؤدوا أدنى الواجب الديني ، نيط بهم عبء إبلاغه وبيانه للناس .

المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام عبر التاريخ ، وخيبتها :

إن المحاولات لقطع صلة العرب بالإسلام وإعادتهم إلى الجاهلية الأولى ، والمؤامرات لتحقيق هذا الهدف ، ليست بأمر جديد في التاريخ ، فقد كان قبول جزيرة العرب للإسلام- دين التوحيد- تصويبا للخصائص التي كانت تمتاز بها بين الشعوب المعاصرة لها حينذاك من قوة الإرادة والشكيمة ، والعمل والفروسية والشمائل الأخرى ، وكان الإسلام تصحيحا وهداية لما تعانيه من مساوىء خلقية ومواطن ضعف وكان قبول العرب لدين يقوم على أساس عقيدة التوحيد ، وحملهم رسالته بحماس واعتزاز والتحرر من عبودية الإنسان (سواء كانوا حكاما أو قادة دينيين ، أو رؤساء القبائل والأسر) خطرا وتحديا كبيرا لجميع الدول المحيطة بالمنطقة ، والحكومات القائمة .

ولم تمض على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مدة يسيرة إلا واكتسحت الجزء الشرقى من الجزيرة العربية، موجة من الردة، وإنكار فرضية الزكاة -الركن الأساسى من أركان الإسلام- أو التمرد على دفعها إلى بيت المال، ثم ظهور المتنبئين فى عدد ملحوظ [1] كل ذلك كان محنة واختبارا لدين لم تمض على نشوئه مدة طويلة- لايوجد له نظير فى تاريخ الأديان، وقليل من الناس بحثوا عوامل هذه الفتنة، ودرسوا خطورتها، وانعكاساتها، والقوى المتسترة وراءها، وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ولم ينل هذا الموضوع الاهتمام اللائق من الباحثين، وقد أشار إلى هذا الجانب بعض المؤرخين والباحثين فى العصر الحاضر، وأدركوا وجود توجيه من اليهود والنصارى وتخطيطهم فى هذه الفتنة، فقد شعروا بأنهم لم يستطيعوا أن يخلفوا أى أثر على الجزيرة العربية فى المدة الطويلة التى سنحت لهم [2] وانتشر الإسلام فى فترة قصيرة، وساد الجزيرة العربية بكاملها، وأصبح دينها الذى يتبع، وكان هذا الإقبال عليه مبعث خطر

(١) أمثال مسيلمة الكذاب، وأسود العنسى، وطليحة، وسجاح، ولقيط بن مالك الأزدى.

(٢) اعترف بذلك المؤلف المسيحى المعروف بتحامله على الإسلام sir william muir فى كتابه (حياة محمد)
life of Mohammad, London 1885 v.II.

للحكومتين البيزنطية والساسانية المجاورتين أيضا ، فحاول أعداء الإسلام والحاسدون استغلال فتنة الردة وتشجيعها (١).

لقد كان من التدبير الإلهى والمدد الربانى ، أن قيض الله تعالى لمواجهة هذه الفتنة ، خليفة الرسول الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه الذى لايوجد له نظير فى التاريخ المحفوظ لأى دين وعقيدة ، ولايوجد له مثيل فى خلفاء الرسل (سلام الله عليهم جميعا) فقد أبدى صموده وقوته وعزمه وثباته فى مقاومة هذا الخطر ، وهذا من رحمة الله الذى يحمل دعوتها ويحميها إلى يوم الدين ، وقد انعكست عواطف الصديق وأحاسيسه القلبية فى هذا الأمر ونفسيته فى قوله :

(أينقص الدين وأنا حى) إنه أخمد هذه الشرارة ، ودفن هذه الفتنة فى مهدها ، وعادت الجزيرة العربية والأمة العربية إلى الوحدة العقدية والعملية والفكرية ، التى كانت عليها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخلت هذه الفتنة فى مجاهل التاريخ ، وأصبحت حديث خرافة وأسطورة ، وقد بين أبو هريرة رضى الله عنه هذه الحقيقة فى أسلوب قوى واضح .

(١) للتفصيل راجع كتاب "أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية فى القرن الأول الهجرى" للدكتور جميل عبدالله المصرى طبع المدينة المنورة ١٩٨٩م ص ١٧٤- ١٨٠.

عن أبى الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : (١)

(والله الذى لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله ، ثم قال الثانية ثم قال الثالثة) .

ولانشاهد فى التاريخ الإسلامى بعد فتنة الردة خطرا أكبر على الجزيرة العربية والبلدان المجاورة ، والأماكن المقدسة ، من الحروب الصليبية ، وزحف القوى الغربية إلى فلسطين والقدس ، والتى بدأت فى أواخر القرن الخامس الهجرى ٤٩٠ هـ وانتهت فى أواخر القرن السادس الهجرى ٥٨٣ هـ - ١١٨٧م ، وتفيد دراسة التاريخ لذلك العصر بأن الهدف الرئيسى لهذه الحروب أو الزحف الصليبى الذى اشتركت فيه جميع القوى الغربية المسيحية ، لم تكن لمجرد السيطرة على المسجد الأقصى وفلسطين وحدهما ، بل كان هدفها أوسع منها ، إنه كان الاستيلاء على الحرمين الشريفين ، فقد صدرت من لسان قادة هذه الحروب ، تصريحات تكشف عن نيات هؤلاء القادة الخبيثة وأبعاد هذه الحملة ، ولايستطيع قلم مسلم غيور أن ينقل هذه الكلمات ، ومما كان يزيد الطين بلة أن فلسطين والشام والدول المجاورة ، لم تكن فى موقف قوة يمكنها أن تواجه هذه القوة المجتمعة لأوربا ، والصليبيين ، يقول المؤرخ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠٥ .

الاسباني الشهير استانلي لين بول.

(دخل الجنود الصليبيون في البلاد كما يدخل مسمار في الخشب المنخور، وبدا للناظر كأنهم يجعلون جذر الإسلام هباء منثورا (١)

وقد قيض الله لمواجهة هذا الوضع وتخييب هذه المحاولة الدنيئة، وطرد المعتدين، ليس من الشام وفلسطين وحدهما، بل لتأمين سلامة الجزيرة العربية بكاملها، وحفظها، الملك العادل نور الدين الزنكي الذي اضطلع بهذه المسئولية العظيمة، إنه كان يرى نفسه مأمورا من الله تعالى لدحر الصليبيين واستعادة بيت المقدس، ويعد هذا العمل أكبر عبادة وأعظم وسيلة للتقرب إلى الله. ففرض على الدول المسيحية هيبته ورعبه، لغاراته المتواصلة، وحاصر الصليبيين من جانبين بعد إخراجهم من مصر.

ولكن القدر المحتوم لإلحاق الهزيمة الأخيرة، كتب

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ٤ ص ٦٢٧ المقال بعنوان Crusades

لقائد جيوشه السلطان صلاح الدين الأيوبى (١)
فقد توفى السلطان نور الدين فى عام ٥٦٩ هـ - ١١٧٤م ، وتولى هذه المسئولية العظيمة السلطان صلاح الدين الأيوبى .

كان السلطان صلاح الدين الأيوبى معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وبرهانا ساطعا على صدق الإسلام وخلوده ، وجديرا بأن يدعو له كل مسلم ويعترف بفضله ومنه ، ولعله ولد ليتم هذا العمل الجليل ، فقد كان السلطان صلاح الدين ولوعا بالجهاد كثير الاهتمام به ، فكان الجهاد لذة عيشه ، وغذاء روحه ، وطيب نفسه ، وقد بلغت غيرته وحميته الدينية كل مبلغ .

---

(١) كان اسم والد السلطان صلاح الدين (أيوب)، وإليه تنسب أسرته ، وكان السلطان وأسرته من الأكراد . وقد أنجبت هذه الأسرة فى مختلف العصور مجاهدين ودعاة ، وربانيين، وقد أباد مئات ألوف من أفراد هذه القبيلة القائد العراقى صدام حسين بالأسلحة الكيماوية والقنابل وأشهر هذه المجازر البشعة (مجزرة حلبجة) فى مارس ١٩٨٨ حيث استشهد من أبناء المدينة ستة آلاف فى يوم واحد، وفر خمسة وعشرون ألفا وجرح وشوه مثل هذا العدد ، حيث قام صدام بضرب المدينة بصواريخ فروك (٧ أطنان)، وبالمواد الكيماوية المحرمة دوليا وترك الجثث عدة أيام حتى اسودت وتعفنت ، دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منها .

ويتضح ذلك من موقفه الذى وقفه إزاء ملوك الدول الأوربية والقادة المنهزمين فى معركة حطين، فلما عرض هؤلاء عليه، أجلسهم بجانبه وأكرمهم، لكن لما دخل ريجى نالد (Raginold) فى الخيمة: قال له السلطان، اسمع، إنى نذرت قتلك مرتين، مرة عندما أبديت نيتك للإغارة على مكة المكرمة والمدينة المنورة المقدستين، ثم لما هجمت على قافلة الحجاج [1] وسل السلطان صلاح الدين سيفه من غمده وقال، ها أنا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب عنقه، وبهذا المنظر أخذت الملوك والقادة الآخرين رعدة، فقال لهم: لا، ليس من عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، أما هذا فقد تخطى الحدود، فجرى ما جرى. [2]

ويقول القاضى ابن شداد:

(كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لاتحمله الجبال) [3].

وثارت ثائرة أوربا بعد فتح بيت المقدس وهزيمة حطين وفشل الصليبيين الذريع، فتكالبت أوربا

(١) وأضاف إلى ذلك ابن شداد، أنه لما غدر بالقافلة ناشدوا الله والصلح الذى بينه وبين المسلمين، فقال: قولوا لمحمدكم يخلصكم، فلما بلغه رحمه الله، نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه، ص ١٢٧.

(٢) السلطان صلاح الدين ص ١٨٨.

(٣) النوادر السلطانية.

بأسرها على بلد صغير مثل الشام، بجنودها المجندة، وملوكها الكبار وفرسانها البواسل وقوادها الشجعان، مثل قيصر، وفريدرك، ورتشارد قلب الأسد، وملوك انجلترا، وفرنسا، وصقلية، والنمسا، ويوغندى، وفلاندرز، وأمرائهما، ولم يقم فى وجههم إلا السلطان صلاح الدين، وأقاربه وعدة من خلفائه، ينافحون عن الإسلام ويحمون دماء المسلمين، ويقاتلون عن العالم الإسلامى كله.

وأخيرا تم الصلح بين الفريقين بعد أن نالت منهما الحروب الدامية المتواصلة التى دامت خمسة أعوام نيلا كبيرا فى الرملة، سنة ١١٩٢م. وبقى بيت المقدس والمدن والقلاع التى فتحها المسلمون تحت أيديهم، إلا ولاية بعكة، الصغيرة التى يحكمها الصليبيون، وظل صلاح الدين سلطان سائر البلاد وصاحب الأمر والنهى فيها، وتم على يده العمل الذى تولى مسئولية إنجازه، وبعبارة أصح: قيضه الله له، وفوضه إليه.

وبعد أن قام بواجبه المقدس أحسن قيام، ولم يحصن الشام وفلسطين والجزيرة العربية وحدها من خطر العبودية للصليبيين بل حصن العالم الإسلامى كله، استأثر الله بابن الإسلام البار فى ٢٨ من صفر ٥٨٩ هـ، وكان سلطانا زاهدا عابدا ومجاهدا، فلما توفى لم يخلف من المال ما يكفى لتكفينه، وقد جهزه وزيره وكاتبه القاضى الفاضل ولم تجب عليه

الزكاة فى حياته ، لأنه لم يوفر من ماله ما يوجب عليه الزكاة [١].

إن صد الهجومين الصليبى والصهيونى العسكرى أو الفكرى أو اللاديني ، على أى بلد إسلامى فضلا عن الجزيرة العربية أو الأماكن المقدسة ، والحفاظ على الأماكن المقدسة ، واستعادة المسجد الأقصى ، وسيادة الإسلام وإعادة العهد الذهبى له ، يتطلب هذه السيرة والسلوك ، وهذه العزيمة والقوة الإيمانية ، ولكن العالم العربى يفتقر إليها اليوم ، وهى مطلوبة لكنها مفقودة ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

واجهت جزيرة العرب ، والأماكن المقدسة الخطر الثالث فى تاريخ الإسلام وتاريخ العرب عندما قام شريف مكة الحسين بن على بثورة ضد الخلافة العثمانية ، والدولة التركية ، وانضم إلى الحلفاء ، وكاد يستولى الحلفاء على جزيرة العرب ، والأماكن المقدسة ، ويفرضون عليها نفوذهم وسيادتهم فيكون لهم الحكم فى الشئون الاعتقادية والفكرية فيها ، ولكن قامت لمعارضة هذه الخطوة حركة عارمة فى العالم الإسلامى وخاصة فى شبه القارة الهندية باسم حركة الخلافة ، واستطاعت هذه الحركة بقـــوتها وشعبـــيتها أن تحذر الحلفاء وتردعـــهم

(١) النوادر السلطانية ص ٥- ١٠

من هذا الإجراء الأثيم، ومن جهة أخرى غرست هذه الحركة في نفوس المسلمين في الهند بصفة خاصة والملة الإسلامية بصفة عامة، رد فعل عنيف لايوجد له نظير في مناطق شاسعة ومدة طويلة، ليس ضد الاحتلال الغربي فحسب، بل ضد الحضارة الغربية، والمنهج الغربي للحضارة، وقد قيض الله لهذه الحركة على صعيد الهند زعماء أمثال شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، والشيخ عبدالباري الفرنجي محلي، وشيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني، والمفتي كفايت الله، ورئيس الأحرار محمد على جوهر، وزعيم الهند الكبير أبو الكلام آزاد، كما قيض الله لها قادة وزعماء، وخطباء وأصحاب أقلام، ومجاهدين، وجنودا نفخوا في الجيل المسلم الجديد حياة جديدة واستعلاء إيمانيا، وسموا للفكر، وكراهية للاستعمار الغربي، والحضارة الغربية وبث روح الثورة عليها، وفي الوقت نفسه انشغل الحلفاء بالحربين الكونيتين والقضايا الداخلية الأخرى، لم تسنح لهم بها فرصة لاتخاذ إجراء عسكري كبير أو فرض سلطة سياسية أو إدارية، ولم تسمح لهم ظروفهم بذلك، فاكتفوا بفرض النفوذ الفكري والتعليمي والحضاري واستغلال هذه الدول سياسيا واقتصاديا.

ولكن الحادث الأسوأ والإجراء الأخطر الذي اتخذته الدول الغربية وخاصة بريطانيا هو قيام

إسرائيل واحتلالها للمساحة الكبرى من أرض فلسطين، واستيلاؤها على المسجد الأقصى، والذى يبعث على قلق دائم ويسبب شقاء مستمرا ليس فى العالم العربى، بل فى العالم الإسلامى كله، وينذر بأخطار ويثير مخاوف بعيدة المدى، ويشكل خطرا دائما لسلامة المنطقة، وترجع المسئولية الكبرى لهذه المحنة إلى جامعة الدول العربية، ثم الدول العربية فى المنطقة، التى لم تدرك هذه المؤامرة الخطيرة، ولم تفهم نيات الدول الكبرى السيئة من ورائها وما ترمى إليه إسرائيل واليهودية، والصهيونية العالمية، وما هى أهدافها ومخططاتها، ولم تقدر وخامة هذه الحادثة وملابساتها وانعكاساتها ونتائجها السيئة (١)

إن هذه الظروف التى يمر بها العالم العربى، والوضع الناشىء من هذا الاحتلال ووجود إسرائيل والأخطار الناشئة من وجودها، تقتضى رجلا مؤمنا ومجاهدا غيورا، وقائدا مخلصا يمثل دور البطل الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبى، ويتبع خطواته، إنه ليس عمل المحترفين السياسيين، وأدعياء القومية العربية، وقد قال أحد المؤرخين الفضلاء والشاعر العربى خير الدين الزركلى مخاطبا للأمة الإسلامية وفلسطين قبل عدة

(١) راجع بروتوكولات صهيون، واليهودية العالمية هنرى فورد Henry ford.

سنوات ، ويصدق قوله على الظروف الراهنة .

هاتى صلاح الدين ثانية فينا
وجددى حطين أو شبه حطينا [1]

إن الوضع السائد اليوم يدل على أن الصليبيين واليهود والصهيونيين غيروا استراتيجيتهم فى ضوء تجاربهم الماضية ، فبدلا من فتح الدول العربية المجاورة عنوة بصورة مباشرة ، اتخذوا استراتيجية تسخير دعاة القومية العربية وخاصة المرتبطين بالبعث العربى ، والمغرمين به ، وهيأوا لهم فرصا ليصنعوا منهم أبطالا يغرى بهم المسلمون وخاصة الفلسطينيين ، ويفتنون بإعلانهم أنهم سيحررون فلسطين ، وبذلك يكسبون ودهم وتأييدهم ، وتتاح لهم فرصة التوغل إلى مركز الإسلام ، والتمكن من مسخ الذهن العربى ثقافياً وفكرياً وإعادة العرب إلى الجاهلية الأولى بتوهين الكيان الدينى وزحزحة العقيدة ، وبالتالى سقوطهم إلى جاهليتهم العربية الأولى [2]، وهو الحلم الذى يراود قادة الدول الغربية المسيحية واليهودية منذ قرون .

(١) المعركة الحاسمة التى انتصر فيها صلاح الدين على أوربا وفتح القدس .
(٢) يخشى أن ما حدث فى الكويت يحدث فى الحجاز المقدس - لا قدر الله - فتنصب فيها تماثيل صدام حسين - وقد بلغ عددها مئات وألوفا فى العراق - وتنشأ نواد ومجامع بأسماء أبى جهل وأبى لهب وعنترة العبسى ، وحاتم الطائى ، ويرفع الحظر على شرب الخمر ، كما هو السائد فى العراق ، وتتخذ إجراءات ضد شعائر الإسلام ، ويساء إلى الأماكن المقدسة ، والمساجد العامة ، كما يشاهد فى العراق .

إنه لمخطط رهيب ودقيق، خفى وعميق، يحتاج فهمه إلى ذكاء، وحس مرهف وبصيرة نافذة من رجال العالمين العربى والإسلامى، وفراسة إيمانية كذلك، كما يحتاج إلى معرفة واسعة ودراسة عميقة للتاريخ، وفق الله فى هذا الوضع الخطير الحاسم قادتنا الدينيين والزعماء السياسيين، وقادة الفكر والمسئولين عن الإعلام، وأصحاب النفوذ وأصحاب القلم، وعلى الأخص الشباب المتحمسين، ويلهمهم الهمة والسداد، والفهم السليم ليدركوا خطورة وعمق المؤامرات المسيحية الغربية وأعداء الإسلام والمثقفين المعادين والمفكرين الإسرائيليين ويفطنوا لها، ويحترزوا عن الوقوع فى فخهم، ويجعلوا هذه الآية نبراساً لهم.

«والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا» (١).

---

(١) سورة الأعراف الآية (٥٨)

القسم الثانى

كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم؟
وكيف يحافظون عليها؟!

إن العالم العربي له أهمية كبيرة في خريطة العالم السياسية، وذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور في التاريخ الإنساني، ولأنه يحتضن منابع الثروة والقوة الكبرى: الذهب الأسود الذي هو دم الجسم الصناعي والحربي اليوم، ولأنه صلة بين أوربا وأمريكا، وبين الشرق الأقصى، ولأن قلب العالم الإسلامي الناهض يتجه إليه روحيا ودينيا ويدين بحبه وولائه، ولأنه يسمى - لا قدر الله - أن يكون ميدان الحرب الثالثة، ولأن فيه الأيدي العاملة، والعقول المفكرة، والأجسام المقاتلة، والأسواق التجارية، والأراضي الزراعية، ولأن فيه مصر ذات النيل السعيد بنتاجها ومحصولها وخصبها وثروتها ورقيها ومدنيتها، وفيه سورية وفلسطين وجاراتها، باعتدال مناخها وجمال إقليمها وأهميتها الاستراتيجية، وبلاد الرافدين بشكيمة أهلها ومنابع البترول فيها، والجزيرة العربية بمركزها الروحي وسلطانها الديني، واجتماع الحج السنوي الذي لا مثيل له في العالم، وآبار البترول الغزيرة، كل ذلك قد جعل العالم العربي محط أنظار الغربيين، وملتقى مطامعهم وميدان تنافس لقيادتهم، وكان رد فعله أن نشأ في العالم العربي شعور عميق بالقومية العربية، وكثر التغني (بالوطن العربي) و (المجد العربي)

محمد رسول الله روح العالم العربي :

ولكن المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين التي ينظر بها الأوربي، وبغير العين التي ينظر بها الوطني العربي، إنه ينظر إليه كمهد الإسلام ومشرق نوره ومعقل الإنسانية وموضع القيادة العالمية، ويعتقد أن سيدنا محمداً العربي هو روح العالم العربي وأساسه وعنوان مجده، وأن العالم العربي - بما فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات - جسم بلا روح، وخط بلا وضوح إذا انفصل - لا سمح الله بذلك - عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع صلته عن تعاليمه ودينه، وأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أبرز العالم العربي للوجود، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة، وقبائل متناحرة، وشعوباً مستعبدة، ومواهب ضائعة، وبلاداً تتسكع في الجهل والضلالات، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفارسية ولا يخطر ذلك منهم على بال، ولا يصدقون بذلك إذا قيل لهم في حال من الأحوال.

وكانت سورية التي تكون جزءاً مهما من العالم العربي مستعمرة رومية، تعاني الملكية المطلقة والحكم الجائر المستبد لا تعرف معنى الحرية والعدل، وكان العراق مطية لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والإتاوات الفادحة. وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقة حلوباً ركوباً.

يجزون صوفها ويظلمونها فى علفها، ثم إنها تعانى الاضطهاد الدينى مع الاستبداد السياسى، فما لبث هذا العالم المفكك المنحل، المظلوم المضطهد، أن هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أدرك رسول الله هذا العالم وهو ضائع هالك وأخذ بيده وهو ساقط متهالك، فأحياه بإذن الله وجعل له نوراً يمشى به فى الناس، وعلمه الكتاب والحكمة وزكاه، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية سفير الإسلام، ورسول الأمن والسلام، ورائد العلم والحكمة، ومشعل الثقافة والحضارة، كان غوثاً للأمم، غيثاً للعالم، هنالك كانت الشام وكان العراق، وكانت مصر، وكان العالم العربى الذى نتحدث عنه، فلولا محمد رسول الله صلى عليه وسلم، ولولا رسالته، ولولا ملته، لما كانت سورية، ولا كان العراق، ولا كانت مصر، ولا كان العالم العربى، بل ولا كانت الدنيا كما هى الآن حضارة وعقلا، وديانة وخلقاً، فمن استغنى عن دين الإسلام من شعوب العالم العربى وحكوماته، وولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى، أو استلهم قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب ودساتيره، أو أسس حياته على العنصرية أو العروبة التى لا شأن لها بالإسلام، ولم يرض برسول الله قائداً ورائداً وإماماً وقدوة، فليرد على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نعمته ويرجع إلى جاهليته الأولى، حيث الحكم الرومانى والإيرانى، وحيث

الاستعمار والاستبداد ، وحيث الظالم والاضطهاد ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة ، وحيث العزلة عن العالم ، والخمول والجمود ، إن هذا التاريخ المجيد ، وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الأدب الزاخر ، وهذه الدول العربية ، ليست إلا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام .

الإيمان هو قوة العالم العربي

فالإسلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو روح العالم العربي وإمامه وقائده . والإيمان هو قوة العالم العربي التي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، ويحفظ كيانه ويؤدي رسالته . إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا أو تتصدق به أمريكا أو روسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذه من أرضه من الذهب الأسود . إنما يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية ، والروح التي حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعاً . إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت ، وبجسم يميل إلى الدعة والراحة ، وعقل يخامره الشك وتتنازع فيه الأفكار والأهواء ، أو بيد مضطربة وقلب متشكك ضعيف الإيمان وقوة متخاذلة في الميدان . فالمهم

لأمراء العرب وزعمائهم وقادة الجامعة العربية ، أن يغرسوا الإيمان فى الشعوب العربية ، وجماهير الأمة وأولياء الأمور ، والجيوش العربية والفلاحين والتجار ، وفى كل طبقة من طبقات الجمهور ، ويشعلوا فيها شعلة الجهاد فى سبيل الله والتوق إلى الجنة ، ويبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف الدنيا ، ويعلموهم كيف يتغلبون على شهوات النفس ومألوفات الحياة ، وكيف يتحملون الشدائد فى سبيل الله وكيف يستقبلون الموت بثغر باسم ، وكيف يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور .

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ما وراءها غاية ، وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا محنة . لهم النعيم الحاضر والغد المضمون . إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم فى سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة ، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع ، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد ، ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم ، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح : **«قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا»** (١) .

(١) سورة هود : الآية ٦٢ .

إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر فى الدنيا -كما يعتقد كثير من معاصريهم- تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم، من الشر إلى الخير. ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد. وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم.

علم الله عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن الروم والفرس والأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن. لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر وتتحمل المتاعب والمصاعب فى سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الإنسانية البائسة، ولا تستطيع أن تضحى بشىء من دقائق مدنيتها وتأنقاتها فى الملبس والمأكل، وأن تتنازل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلا عن حاجاتها، وأنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم. والحد من طموحهم والزهد فى فضول الحياة ومطامع الدنيا، والقناعة بالكفاف، فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والإيثار. تلك هى الأمة العربية القوية السليمة التى لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والترف، وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً .

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها : من الجهاد فى سبيلها وإيثارها على كل ما يقف فى وجهها والعزوف عن الشهوات ومطامع الدنيا ، فكان فى ذلك أسوة وإماماً للعالم كله ، كلمه وفد قريش وعرض عليه كل ما يغرى الشباب ويرضى الطامحين، من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك فى صرامة وصراحة ، وكلمه عمه وحاول أن يحد من نشاطه فى سبيل الدعوة فقال : «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» ثم كان أسوة للناس فى عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد والإيثار ، والزهد وشظف العيش وأقل قسط من العيش وأسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه الأبواب وسد فى وجهه الطرق وتعدى ذلك إلى أسرته وأهل بيته والمتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالا به وأقربهم إليه ، أقلهم حظاً فى الحياة ، وأعظمهم نصيباً فى الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سن حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين وربما حرمه على عشيرته الأقربين ، أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد

المطلب فأبطله، وسن الزكاة وهى منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بنى هاشم إلى آخر الأبد، وكلمه على بن أبى طالب يوم الفتح أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية فأبى، وطلب عثمان بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء، وقال خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظالم، وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش وخيرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق العيش، ومفارقته مع السعة والرخاء وتلا عليهن قوله تعالى: «**يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً**»(١) فاخترن الله والرسول، وتأتيه فاطمة تشكو إليه ما تلقى فى يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه دقيق، فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ويقول لها إنه خير لها من خادم.. وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به فالأقرب ثم الأقرب.

وآمن به رجال من قريش فى مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً، وكسدت تجاراتهم وحرم بعضهم رأس ماله الذى جمعه فى

(١) سورة الأحزاب: ٢٨، ٢٩.

حياته ، وحرم بعضهم أسباب الترف والرخاء وأناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه وحرم بعضهم نصيبه في ثروة أبيه .

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها ، لم يسمح لهم بذلك وأنذرهم الله به فقال «**وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**» (١).

وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أى أمة فى العالم وقد خاطبهم الله بقوله : «**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين**» (٢) وقال : «**ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه**» (٣) لأن

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .

(٢) سورة التوبة : ٢٤

(٣) سورة التوبة : ١٢٠ .

سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار وما يتحملونه من خسائر ونكبات فقال: «**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**» (١) وقال: «**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟**» (٢) وكان إحجام العرب عن هذه المكرمة وترددهم في ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية واستمراراً للأوضاع السيئة في العالم فقال: «**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» (٣).

وقد وقف العالم في القرن السادس المسيحي على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب ويعرضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعز عليهم للخطر ويزهدوا في مطامع الدنيا ويضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم وتستقيم البشرية وتقوم سوق الجنة وتروج بضاعة الإيمان، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم فيبقى العالم في حمأ الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله، وقد أراد الله بالإنسانية خيراً وتشجع العرب - بما نفخ فيهم محمد صلى الله عليه وسلم من روح الإيمان والإيثار وحبب إليهم الدار الآخرة

---

(١) سورة البقرة: ١٥٠.

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

وثوابها - فقدموا أنفسهم فداء للإنسانية كلها وزهدوا فى مطامع الدنيا طمعاً فى ثواب الله وسعادة النوع الإنساني وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع وشهوات وآمال وأحلام وأخلصوا لله العمل والجهاد فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين.

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول، ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية، إما أن يتقدم العرب - وهم أمة الرسول وعشيرته - إلى الميدان ويغامروا بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويخاطروا بما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة. وفرص متاحة للعيش وأسباب ميسورة، فينهض العالم من عثاره وتتبدل الأرض غير الأرض، وإما أن يستمروا فيما هم فيه من طمع وطموح، وتنافس فى الوظائف والرواتب، وتفكر فى كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك وربح التجارات والحصول على أسباب الترف والتنعم. فيبقى العالم فى هذا المستنقع يتردى فيه منذ قرون.

إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب فى العواصم العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة والمعدة، لا يفكرون فى غيرهما ولا يترفعون عن الجهاد فى سبيلهما، ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم فى سبيل

المبادىء التى اعتنقوها ، أكبر منهم نفساً ، وأوسع منهم فكراً ، بل كان الشاعر الجاهلى «امرؤ القيس» أعلى منهم همة ، إذ قال :

ولو أننى أسعى لأدنى معيشة
كفانى ولم أطلب قليلا من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم . إن الأرض لفى حاجة إلى سماد ، وسماد أرض البشرية الذى تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هى الشهوات والمطامع الفردية التى يضحى بها الشباب العربى فى سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة .

إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً .

العناية بالفروسية والحياة العسكرية

من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيراً من خصائصها العسكرية ، وروحها فى فروسيتها التى كانت معروفة بها فى العالم ، فكانت رزيئة كبيرة وخسارة فادحة ، وكانت سبباً من أسباب ضعفها وعجزها فى ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، وضعفت الأجسام ونشأ

الناس على التنعم، وقد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربية، وهجر الناس المصارعة والمناضلة وسباق الخيل وأنواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية، واستبدلوا بها ألعاباً لا تفيدهم شيئاً، فالمهم لرجال التعليم والتربية وقادة الشعوب العربية أن يربوا الشبيبة العربية على الفروسية والحياة العسكرية، وعلى البساطة في المعيشة وخشونة العيش والجلادة وتحمل المشاق والمتاعب، والصبر على المكروه!.

وقد كتب المربي الكبير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بعض عماله العرب وهم في بلاد العجم: «إياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، وتمعددوا (١). واخشوشنوا (٢)، واخشوشبوا (٣) واخلولقوا (٤) وأعطوا الركب أسنتها وانزوا نزواً، وارموا الأغراض» (٥).

(١) تمعدد الغلام: شب وغلظ. وقيل معناه: تشبهوا بعيش معد بن عدنان، وكان ذا غلظ وتقشف.

(٢) اخشوشن: تخشن في المطعم والملبس.

(٣) اخشوشبوا. صار صلباً في أحواله وصبره على الجهد.

(٤) تبذلوا في الملابس.

(٥) رواه البغوى عن أبي عثمان النهدى.

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «ارموا بنى إسماعيل فان أباكم كان رامياً» [١] وقال: «ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى» [٢].

ومن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة ويبعث على التخنث والعجز، من عادات وأدب وصحافة وتعليم، ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع الملحد، الذى ينشر فى الشباب النفاق والدعارة والفسوق، وعبادة اللذة والشهوات، ولا يسمحوا لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين أمنوا أن يدخلوا فى معسكر محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويفسدوا على الناشئة الإسلامية قلبها وأخلاقها، ويزينوا لها الفسوق والعصيان، وحب الفحشاء، بثمن بخس دراهم معدودة، وقد شهد التاريخ بأن كل أمة أصيب رجالها فى رجولتهم وغيرتهم، ونساؤهم فى أنوثتهن وأمومتهن، وطغى فيهن التبرج، ومزاحمة الرجال فى كل شىء، والزهد فى الحياة المنزلية، وحبب إليهن العقم، أفل نجمها وكسفت شمسها، فأصبحت أثراً بعد عين.

هذه كانت عاقبة اليونان والرومان والفرس، وإن أوربا لفى طريقها إلى هذه العاقبة، فليحذر العالم العربى من هذا المصير الهائل.

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه مسلم.

محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصعلوك:

وقد اعتاد العرب لأسباب كثيرة وبتأثير الحضارة الغربية، حياة الترف والدعة والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والإسراف والتبذير والاستهانة بمال الله فى سبيل اللذة والشهوة والفخر والزينة.

ايجاد الوعى فى الأمة :

وإن أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين، هو فقدان الوعى فى هذه الأمة، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم، وألا تعقل الأمور ولا تضعها فى مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش، وأن تلدغ بجحر مرة بعد مرة ولا تنصحها الحوادث، ولا تروعها التجارب، ولا تنتفع بالكوارث، ولا تزال تولى قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثرة والأنانية والجبن والعجز، والخرق والطيش، وكان سبباً للهزيمة والذلة، ولا تزال تضع ثقتها فيه وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها، وتنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات فيجترىء بذلك السياسيون المحترفون، والقادة الخائنون ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها ويتمادون

فى غيهم ويسترسلون فى خياناتهم وعبثهم، ثقة ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعى.

إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية- مع الأسف- ضعيفة الوعى- إذا تحرجنا أن نقول: فاقدة الوعى- فهى لا تعرف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملهما معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق فى تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال تلدغ بجحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب، وهى ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضى الزعماء والقادة، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة، وهى ضعيفة فى الوعى الدينى والوعى الاجتماعى وأضعف فى الوعى السياسى، وذلك ماجر عليها ويلا عظيماً وشقاء كبيراً وسلط عليها القيادة الزائفة وفضحها فى كل معركة.

إن الأمم الأوربية -برغم إفلاسها فى الروح والأخلاق وبرغم عيوبها الكثيرة- قوية الوعى- الوعى المدنى والسياسى- وقد بلغت سن الرشد فى السياسة، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها، وتميز الناصح والخادع، وبين المخلص والمنافق، وبين الكفء والعاجز، فلا تولى قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر، فإذا رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم وانتهوا من أمرهم، استغنت عنهم وأبدلت بهم رجالا أقوى

منهم وأعظم كفاءة وأجدر بالموقف، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع وأعمالهم الجليلة وانتصارهم فى حرب، أو نجاحهم فى قضية. وبذلك أمنت السياسيين المحترفين، والقيادة الضعيفة أو الخائنة، وخوف ذلك الزعماء، ورجال الحكم وكانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأى العام.

فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسى التى لا تكاد تنتهى، هو إيجاد الوعى فى طبقاتها ودهمائها وتربية الجماهير التربية العقلية والمدنية والسياسية، ولا يخفى أن الوعى عبر إفشاء التعليم وزوال الأمية، وإن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها، وليعرف الزعماء السياسيون والقادة أن الأمة التى يعوزها الوعى غير جديرة بالثقة، ولا تبعث حالتها على الارتياح وإن أطرت الزعامة والزعماء وقدستهم، فإنها -ما دامت ضعيفة الوعى- عرضة لكل دعاية وتهريج وسخرية كريشة فى فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر فى مكان.

استقلال البلاد العربية فى تجارتها وماليتها :

وكذلك لابد للعالم العربى- كالعالم الإسلامى- من الاستقلال فى تجارته وماليته وصناعته وتعليمه، لا تلبس شعوبه وجماهيره إلا ما تنبته أرضه وتنسجه

يده ، وتستغنى عن الغرب فى جميع شئون حياتها ، وفى كل ما تحتاج إليه ، من كسوة ، وطعام ، وبضائع ، ومصنوعات، وأسلحة وجهاز حربى، وآلات وماكينات، وأدوية فلا تكون كلا على الغرب وعيالا عليه فى معيشتها ومتطفلة على مائدته .

إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الغرب- إذا احتاج إلى ذلك ودعت إليه الظروف-وهو مدين له فى ماله ، وعيال عليه فى لباسه وبضائعه ، لا يجد قلماً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذى صنع فى الغرب، ولا يجد ما يقاتل به الغرب، إلا الرصاص الذى أفرغ فى الغرب، إنه عار على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها ، وأن يجرى ماء الحياة فى عروقها وشرايينها إلى أجسام غيرها ، وأن يدرب جيوشها وكلاء الغرب وضباطه ، ويدير بعض مصالح حكوماتها رجاله ، فلابد للعالم العربى أن يقوم هو نفسه بحاجاته : تنظيم التجارة والمالية ، وحركة التوريد والتصدير ، والصناعة الوطنية ، وتدريب الجيش، وصنع الآلات والماكينات وتربية الرجال الذين يضطلعون بجميع مهمات الدولة ووظائف الحكومة فى خبرة ومهارة فنية ، وأمانة ، ونصيحة .

رجاء العالم الإسلامى فى العالم العربى :

والعالم العربى بمواهبه وخصائصه وحسن موقعه الجغرافى وأهميته السياسية، يحسن الاضطلاع

برسالة الإسلام، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامى، ويزاحم أوربا بعد الاستعداد الكامل، وينتصر عليها بإيمانه وقوة رسالته ونصر من الله، ويحول العالم من الشر إلى الخير، ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام.

إلى قمة القيادة العالمية :

ما أعظم التطور الذى حدث فى تاريخ العرب على أثر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج فى لغة صريحة بليغة وفى أسلوب مبين مشرق (١)، وما أعظم النعمة التى أسبغها الله على العرب، نقلهم من جزيرتهم التى يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذى يقودونه بناصيته، ومن الحياة القبلية المحدودة التى ضاقوا بها، إلى الإنسانية الواسعة التى يشرفون عليها ويوجهونها، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذى فاجأ العرب وفاجأ العالم، يقولون بكل وضوح وشجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة وأركان دولته: «الله ابتعثنا ليخرج لنا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»

---

(١) تضم سورة الإسراء قصة المعراج إعلانات بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبى القبلتين وإمام المشرقين والمغربين ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده.

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولا إلى سعتها ثم أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخرا . وهل أضيق من الحياة القبلية والجنسيه . وأوسع من الحياة الانسانية الواسعة الآفاق ؟ وهل أضيق من الحياة التى لا يفكر فيها إلا فى المادة الزائلة والحياة الفانية ولا يجاهد إلا فى سبيلها ، من الحياة الإيمانية الروحانية التى لا نهاية لها ولا تحديد ؟!.

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، ومن ضيق الحياة فيها ، ومن ضيق التفكير فى مسائلها ومصالحها ، ومن ضيق التناحر على سيادتها ، ومن ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل وعيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية . ليس الدانوب الفائض والنيل السعيد والفرات العذب والسند الطويل ، إلا سواقى حقيرة وترعا صغيرة فيه ، وليست جبال الألب والبرانس وعقاب لبنان وقمم همالايا ، إلا تلالا متواضعة وسدوداً صغيرة ، وليست البلاد الواسعة كالهند والصين وتركستان ، إلا أحياء ضيقة وحارات صغيرة ، ونقطاً مغمورة فى هذا العالم . وليست هذه الأرض كلها ـ إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه السيادة ـ إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق فى السماء . وليست الأمم الكبيرة ـ مع ثقافاتها وحضاراتها وآدابها ـ إلا أسراً صغيرة فى أمة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة، والإيمان العميق والصلة الروحية القوية، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ. وكانت الشعوب الذى تكون هذا العالم، أقوى أسرة عرفها التاريخ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة، والعبقريات المتنوعة، فتكون منها ثقافة واحدة هى الثقافة الإسلامية، التى لم تزل فى نوابغ الإسلام الذين لا يحصيهم عدد، وفى المآثر الإسلامية- بين علمية وعملية- التى لا يستقصيها التاريخ.

لقد كانت- ولا تزال- قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق، أشرف قيادة وأعظمها وأقواها فى تاريخ الزعامة والقيادة، وقد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الإسلامية وتفانوا فى سبيلها، فأحبهم الناس فى العالم حباً لم يعرف له نظير، وقلدوهم فى كل شىء تقليداً لم يعرف له نظير، وخضعت للغتهم اللغات، ولثقافتهم الثقافات، ولحضارتهم الحضارات، فكانت لغتهم هى لغة العلم والتأليف فى العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه، وهى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها، ويؤلفون فيها أعظم وأحب مؤلفاتهم، ويتقنونها كأبنائها وأحسن، وينبغ فيها أدباء ومؤلفون يخضع لهم المثقفون فى العالم العربى، ويقر بفضلهم وإمامتهم أدباء العرب ونقادهم.

وكانت حضاراتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجد الناس ويتظرفون بتقليدها ، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى ويطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات-«اسم الجاهلية» و «العجمية» وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها .

وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون فى ثورة عليها ، وفى التخلص منها كما هى عادة المفتوحين والأمم المغلوبة على أمرها فى كل عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هى صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، وعلى الأكثر إنما هى صلة التابع بالمتبوع الذى سبقه بمعرفة الحق والإيمان بالدعوة والتفانى فى سبيلها ، فلا محل للثورة . ولا محل للتذمر ، ولا محل لنكران الجميل ، إنما اللائق أن يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج ألسنتهم بالشكر والدعاء ، وأن يقولوا : «**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**» (١).

وهكـــذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبـــر

---

(١) سورة الحشر : ١٠ .

العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية، والداعى إلى دار السلام، والقائد إلى الجنة، والمعلم والأستاذ فى الأدب.

هذه هى القيادة العالمية التى هيأتها البعثة المحمدية، وأعلنتها سورة الإسراء، وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص، ويعضوا عليها بالنواجذ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء والأبناء، ولا يجوز لهم- فى شريعة العقل والدين والغيرة- أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة، وليس فى غيرها عوض عنها وكفاية، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة، وهى تسيطر على القلوب والأرواح، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح.

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب، وهى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول «الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفانى فى سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامى على جميع مناهج الحياة».

وبذلك- من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوئها- تخضع لهم الأمم الإسلامية فى أنحاء العالم، وتتهالك على حبهم وإجلالهم وتقليدهم، وبذلك تنفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة فى

مشارق الأرض ومغاربها ، استعصت على غزاة الغرب ومستعمريه وثارت عليه ، وتدخل أمم جديدة فى الإسلام ، أمم فتية فى مواهبها وقواها وذخائرها ، أمم تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيتها وعلومها إذا وجدت إيماناً جديداً ، وديناً جديداً ، وروحاً جديدة ورسالة جديدة .

خاتمة

من المعروف أن ما يسمى بأزمة الخليج ، أو غزو العراق للكويت كان كارثة عربية وإسلامية ، وكان أمراً لا معنى له، إلا أن يكون مؤامرة دولية طاحنة تريد تبديد طاقة المسلمين وصرفهم عن رسالتهم وتمزيق صفوفهم أشد مما كانت ، وتحقيق الأهداف الصهيونية والصليبية العالمية .

وقد تولى صدام حسين وحزب البعث كبر هذه الخيانة ، وهو أمر ليس غريباً عليه ، فهو بطبيعته حزب ضالع فى الخيانة للإسلام والأمة العربية ، وصلته بالصليبية والصهيونية صلة حميمة ... وقد كان دوماً ابناً مطيعاً لها .

وقد وقف سماحة الأستاذ / أبو الحسن الندوى دائماً فى وجه مطامع هذا الحزب ومخططاته الإجرامية ضد الأمة الإسلامية والعربية ، وضد الإسلام بصفة خاصة !! .

ولقد أباد نظام البعث كل شعب حكمه ، وجعل أبناءه يعيشون فى رعب وخوف ، وتكاد المساجد فى البلاد التى تبتلى بهذا الحزب أن تكون خراباً ولا يدخلها إلا الشيوخ والعجزة ، وهم يصادرون كل المجلات والكتب الإسلامية ، ويؤلهون - أو يكادون - زعماء الحزب ومنظريه من النصارى واليهود !! .

فضلاً عن المحسوبين زوراً على الإسلام والمسلمين، وبعضهم أنكى علينا من اليهود والنصارى !! .

وقد كشفت أزمة الخليج عن هوان هذه الأمة ، وعدم استقامة موازين العدل بين مثقفيها ، فضلاً عن عامتها ..

فلقد انقسمت على نفسها انقساماً تبدو معه وكأنها بلا ثوابت ولا موازين جعلها الله بها شاهدة على الناس !! .

ولقد كانت شعوب تتجه إلى إدانة الغازى المحتلّ المأجور، وشعوب أخرى تتذرع بالتدخل الأجنبى الذى لم يسعد به أحد ، ولم يكن أحد راغباً فيه ، وتدين الذين احتلت أراضيهم ، وتقف ضد غيرهم من المتوجسين من لؤم حزب البعث العراقى وغدره .. بل إن هؤلاء الأخيرين كانوا واعين بأن سلوك صدام حسين وحزب البعث الإجرامى هو أقوى أسباب ومبررات التدخل الأجنبى ، وقد بذلوا كل جهد للحيلولة دون ذلك .. لأن للأجانب مصالحهم التى تقوم فلسفتهم على حمايتها وحدها .. بعيداً عن أية شعارات أخرى كاذبة !!

لكن صدام حسين وحزب البعث - بضغوط خارجية - رفضوا كل المحاولات ، وقدموا كل الفرص الذهبية لأعداء الإسلام حتى يبيدوا الشعب العراقى المسكين، ويقضوا على كل بوادر نهضته العسكرية التى كانت عوضه الوحيد عن كل الهوان والذل الذى يعيشه فى ظل حزب البعث !!

وقد حاولت المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أن تتصل بصدام حسين وتطلعه على عواقب الأمور ، لكن غطرسته البغيضة ، وخضوعه الكامل للضغوط الخارجية ، جعلتاه يرفض أى تفاهم ويشكل حكومة

للكويت ويجعلها مقاطعة عراقية ويرفض الحديث فى مبدأ الانسحاب !!

وقد وجه الرئيس محمد حسنى مبارك ستة وعشرين نداء له يرجوه فيها أن ينسحب، ويحاول تبصرته - من وجهة نظر عسكرية بحتة - بالعواقب المنتظرة ... ولكن صداما البعثى - التلميذ الوفى لميشيل عفلق ، والموجه فى سياسته الخارجية من وزير خارجيته (طارق عزيز حنا) - أبى واستكبر وغلبته عوامل العزّة الآثمة ، والخضوع ـ من جانب آخر ـ لضغوط المؤامرة المحبوكة ضد العرب والمسلمين .. والخليج بالدرجة الأولى !!

لقد كانت المملكة العربية السعودية واعية بأبعاد المؤامرة الخبيثة ، وكانت تعرف ماذا سيصيب الشعب العراقى ، فضلاً عن الكويت ، وكانت تسعى إلى إيجاد وقفة واحدة تقول للظالم - بقـوة - (يا ظالم اخرج من الكويت ، ولا تعط الفرصة الذهبية للأطماع الصليبية والصهيونية) .. ولقد قبلت كل حوار يدور حـول (ثوابت العدل الإسلامى) .. ولكن المسلمين - حكاماً وشعوباً - عجزوا عن رفع راية العدل ، وخلطوا بين الأسباب والنتائج، وتصوّر بعضهم - بسذاجة شديدة - أن بإمكان دول الخليج والسعودية أن تعلن حرباً عالمية ضد دول الغرب وأمريكا القادمة لحماية مصالحها المرتبطة ارتباطا عضوياً بالبترول ... فى الوقت الذى تعلن فيه

حرباً أخرى ضد عدوٍّ بعثى صليبى كفور يقف على أبواب المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية بعد أن عبر الكويت بجيش يكفى الاحتلال عشرين دولة مثل الكويت !!

بل تصوَّر بعضهم - بسذاجة أكثر - أن الدول الأوربية وأمريكا يمكن أن توجه إليها بعض الأوامر من خلال عدد من خطابات وزراء الخارجية ... فتبتعد تماماً عن المنطقة مضحية بصناعاتها ومواصلاتها ..تاركة مدنيتها المادية فى مهب الريح ، وهى التى تقاتل من أجل مغانم متوهمة أو حرصاً على مصالح يخشى أن تضيع !!

إنها - بحق - سذاجة كبيرة .. وإنها تصورات بعيدة كل البعد عن الإدراك لواقع الأمور .. علماً بأن الأوامر كانت جاهزة لجعل صدام حسين يبادر فوراً بإرسال أطنان من (النابالم) على مدن الخليج، تماماً مثلما سمحت له بإرسالها على (حلبجة) وغيرها من المدن الإيرانية والعراقية الأخرى !!

إن تحليل الأمور - وفق مقاييس ثابتة موضوعية - كان أبرز مادعت إليه دول الخليج المبتلاة بهذا الجار البعثى الجحود ، وقد وقفت المملكة العربية السعودية ثابتة - منذ بداية أزمة الخليج وحتى اليوم - ومع كل التداعيات والنتائج التى أبرزتها أزمة الخليج !!

وللأسف الشديد ، فقد كشفت أزمة الخليج وتداعياتها عن عورات هذا العالم العربى فى غيبة شريعته الحاكمة... إنه يتحرك بالأهواء والعواطف والمصالح العابرة والوقتية !! وإن الأهواء هى الغالبة على كثير من طبقاته المثقفة وغير المثقفة.. والمحسوبة على شتى الاتجاهات !!

ومازال افتقادنا إلى المقاييس الإسلامية الثابتة والرؤية الموضوعية العصرية من أكبر التحديات التى تواجهنا وتجعلنا نبدد طاقاتنا ، ونبعثر قوانا .. والحق أن سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن الندوى - كبير علماء الهند ورئيس ندوة العلماء ودار العلوم بلكهنؤ والداعية والمفكر الإسلامى الكبير، ومؤلف كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » - كان موفقًا دائمًا فى إدراكه لطبيعة حزب البعث وأهدافه ومخططاته، وقد رفض مع الإلحاح الشديد ـ الاستجابة لدعواته ، وعندما احتلت قوات البعث العراقى الكويت اعتبر ذلك سماحته نكبة من النكبات الكبرى للعالم الإسلامى إدراكًا منه لحقيقة الأمور وتداعياتها ونتائجها، ووقف بكل قوته مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج - عن إيمان واقتناع واحتساب - ودعا إلى خروج العراق من الكويت .. حتى يقف المسلمون والعرب يداً واحدة ضد أى طامع أجنبى..!!

وكان هذا هو التدرج الطبيعى الذى تمليه مسلمات

المنطق وطبائع الأمور ، فضلاً عن عدل الإسلام !!

فجزى الله سماحة الشيخ الندوى كل خير وأطال عمره ... وحمى الأمة الإسلامية من أعدائها المنافقين فى الداخل والكافرين فى الخارج ...

« **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون** » [الحشر : ١١]

أجل : إنهم إخوانهم .. وإن كانوا إخوانًا فى الشرّ وفى المصلحة ... وكلهم فى النهاية كاذبون ، وهم - كما قال الله فى القرآن - :« قوم لا يفقهون » .

صدق الله العظيم

الفهرس

القسم الأول

مقدمة ٥

تقديم ١٣

الخطر الأكبر على العالم العربى ٢١

حكمة الله فى اختيار العرب لحمل الرسالة ٢٣

شيوع التصور الغربى للقومية ٢٦

القومية العربية مؤامرة دقيقة للمسيحيين فى الشرق الأوسط ... ٢٨

صلة صدام حسين بحركة القومية ٢٩

لماذا نعارض القومية العربية وما هى بواعث هذه المعارضة ؟.... ٣٢

المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام عبر التاريخ وخيبتها.... ٣٦

القسم الثاني

كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم وكيف يحافظون عليها ؟ . ٤٩

أهمية العالم العربى ٥١

محمد رسول الله روح العالم العربى.................. ٥١

الإيمان هو قوة العالم العربى.................. ٥٤

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية ٥٥

العناية بالفروسية والحياة العسكرية ٦٢

محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصعلوك ٦٥

إيجاد الوعى فى الأمة ٦٥

استقلال البلاد العربية فى تجارتها وماليتها ٦٧

رجاء العالم الإسلامى فى العالم العربى................ ٦٨

إلى قمة القيادة العالمية.................. ٦٩

خاتمة ٧٥

رقم الإيداع : ١٩٢٤ / ١٩٩٤م

I.S.B.N : 977 - 255 - 081 - 4

مطابع ا المنصورة

لكلية الآداب

هذا الكتاب

* العالم العربى له أهمية كبرى فى خريطة العالم السياسية ، وذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور فى التاريخ الإنسانى ، ولما ينعم به من ثروات متعددة ومكانة مرموقة وسط العالم .
* وهذه المكانة التى يمتاز بها العالم العربى جعلته محط أنظار الغربيين وملتقى مطامعهم ، ولذا أخذوا يخططون لتمزيق الصف العربى الإسلامى حتى يتثنى لهم التهام هذه الثروات .
* كما أن الوضع السائد اليوم يدل على أن الصليبيين واليهود والصهيونيين غيروا استراتيجيتهم فى ضوء تجاربهم الماضية ، فبدلا من فتح الدول العربية عنوة بصورة مباشرة اتخذوا استراتيجية تسخير دعاة القومية العربية للعب هذا الدور تمهيدا لالتهامه والاستيلاء على ثرواته ، وما أمر صدام حسين واحتلاله للكويت عنا ببعيد ، كنموذج لهذه الاستراتيجية .
* وهذا الكتاب يعرض لهذا الخطر الذى يواجه العالم العربى ، مبينا أبعاده وأهدافه ووسائله ، وفى المقابل يوضح كيفية مواجهة هذا الخطر ، ويرسم الطريق لكيفية استعادة العرب لمكانتهم كخير أمة أخرجت للناس .
* **ودار الصحوة** يسرها أن تقدم هذا الكتاب لقرائها الكرام ، وعلى الله قصد السبيل .

الناشر

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة : ٧ ش السراى - أول المنيل ت . فاكس : ٩٨٧٩٢٤

الفرع : حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١